291 - ـ فصل : الزهد بلا إخلاص .

تأملت على متزهدي زماننا أشياء تدل على النفاق و الرياء و هم يدعون الإخلاص .

منها أنهم يلتزمون زاوية فلا يزورون صديقا و لا يعودون مريضا و يدعون أنهم يريدون الانقطاع عن الناس اشتغالا بالعبادة .

و أنما هي إقامة نواميس ليشار إليهم بالانقطاع إذ لو مشوا بين الناس زالت هيبتهم .

و ما كان الناس كذلك [ كان رسول ا صلى ا عليه و سلم يعود المريض و يشتري الحاجة من السوق ] و أبو بكر Bه يتجر في البز و أبو عبيدة بن الجراح يحفر القبور و أبو طلحة أيضا و ابن سيرين يغسل الموتى و ما كان عند القوم إقامة ناموس .

و أصحابنا يلزمون الصمت بين الناس و التخشع و التماوت و هذا هو النفاق .

فقد كان ابن سيرين يضحك بالنهار و بين الناس و يبكي بالليل .

و قد رأيت من المتزهدين من يلزم المسجد و يصلي فيجتمع فيصلون الناس بصلاته ليلا و نهارا و قد شاع هذا له فتقوى نفسه عليه بحب المحمدة .

و النبي صلى ا عليه و سلم قال في صلاة التطوع : [ اجعلوا هذه في البيوت ] .

و في أصحابنا من يظهر الصوم الدائم و يتقوت بقول الناس : فلان ما يفطر أصلا .

و هذا الأبله ما يدري أنه لأجل الناس يفعل ذلك لولا هذا كان يفطر و الناس يرونه يومين أو ثلاثة حتى يذهب عنه ذلك الاسم ثم يعود إلى الصوم .

و قد كان إبراهيم بن أدهم إذا مرض يترك عنده من الطعام ما يأكله الأصحاء .

و رأيت في زهادنا من يصلي الفجر يوم الجمعة بالناس و يقرأ المعوذتين و المعنى قد ختمت !.

فإن هذه الأعمال هي صريحة في النفاق و الرياء .

و فيهم من يأخذ الصدقات و هو غني و لا يبالي أخذ الظلمة أو من أهل الخير و يمشي إلى الأمراء يسألهم و هو يدري من أين حصلت أموالهم .

فا في إصلاح النيات فإن جمهور هذه الأعمال مردود .

قال مالك بن دينار : [ و قولوا لمن لم يكن صادقا لا يتعنى ] .

و ليعلم المرائى أن الذي يقصده يفوته و هو التفات القلوب إليه .

فأنه متى لم يخلص حرم محبة القلوب و لم يلتفت إليه أحد و المخلص محبوب .

فلو علم المرائي أن قلوب الذين يرائيهم بيد من يعصيه لما فعل .

و كم رأينا من يلبس الصوف و يظهر النسك لا يلتفت إليه و آخر يلبس جيد الثياب و يبتسم و القلوب تحبه .

نسأل ا D إخلاصا يخلصنا و نستعيد به من رياء يبطل أعمالنا إنه قادر